



قطاع الثقافة

السيرة النبوية

لابن إسحاق

المجلد الثاني الجزء ٨



0104874

Bibliotheca Alexandrina

— ابن إسحاق — ٣٠١ —

ثم قال تعالى : ﴿ يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ﴾ ثم قال : ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ﴾ ^(١) . . . إلى قوله تعالى : ﴿ إن نَعَفُ عن طائفة منكم نَعَدُّب طائفة ﴾ ^(٢) ، وكان الذى قال هذه المقالة وديعة بن ثابت ، أخو بنى أمية بن زيد ، من بنى عمرو بن عوف ، وكان الذى عفى عنه ، فيما بلغنى : مخشن ابن حُمير الأشجعى ، حليف بنى سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع .

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ من ولى ولا نصير ﴾ ^(٣) وكان الذى قال تلك المقالة الجلاس بن سويد بن صامت ، فرفعها عليه رجل كان فى حجره ، يقال له عمير بن سعد ، فأنكرها وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حاله وتوبته : فيما بلغنى .

ثم قال تعالى : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ﴾ ^(٤) وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما من بنى عمرو بن عوف .

ثم قال : ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴾ ^(٥) وكان المطوعون من المؤمنين فى الصدقات : عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى أخا بنى العجلان ، وذلك أن رسول الله ﷺ رَغِبَ فى الصدقة ، وحض عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى ، فتصدق بمائة وسق من تمر ، فلمزوهما وقالوا ما هذا إلا رياء ، وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أنيف ، أتى بصلع من تمر ، فأفرغها فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغنى عن ^(صالح بن عقيل) .

· (٢) سورة التوبة : الآية ٦٦

· (٤) سورة التوبة : الآية ٧٥

(١) سورة التوبة : الآية ٢٥

(٣) سورة التوبة : الآية ٧٣ - ٧٤

(٥) سورة التوبة : الآية ٧٨

٣٠٢ ————— ابن إسحاق —

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله ﷺ بالجهاد ، وأمر بالسير إلى تبوك ، علي شدة الحر وجذب البلاد . فقال تعالى : ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ﴾ إلى قوله : ﴿ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم ﴾ (١) .

ما نزل بسبب الصلاة على ابن أبي : قال ابن إسحاق : حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفي عبد الله بن أبي ، دعى رسول الله ﷺ للصلاة عليه ، فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة ، تحولت حتى قمت في صدره فقلت : يا رسول الله أتصلي على عدو الله عبد الله بن أبي ابن سلول ؟ القائل كذا يوم كذا . والقائل كذا يوم كذا أعدد أيامه له ، ورسول الله ﷺ يتبسم حتي إذا أكثرت قال : يا عمر ، أخر عني ، إني قد خيرت فاخترت ، قد قيل لي : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ (٢) فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له ، لزدت . قال : ثم صلى عليه رسول الله ﷺ ، ومشى معه حتى قام على قبره ، حتى فرغ منه . قال : فعجبت لي ولجرائتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم . فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ (٣) . فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

• ما نزل في المستأذنين والمعدّرين والبكّائين ومنافقي الأعراب :

قال ابن إسحاق : ثم قال : ﴿ وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم ﴾ (٤) وكان ابن أبي من أولئك ، فنعى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى : ﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئكَ لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون ﴾ أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم * وجاء المعدرون من الأعراب

(١) سورة التوبة : ٨١ - ٨٥ . (٢) سورة التوبة : ٨٠ .

(٣) سورة التوبة : ٨٤ . (٤) سورة التوبة : ٨٦ .

— ابن إسحاق — ٣٠٣ —

ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴿١﴾ . آخر القصة . وكان المعذرون ، فيما بلغنى نفرًا من بنى غفار ، منهم خفاف بن إيماء بن رخصة ، ثم كانت القصة لأهل العذر ، حتى انتهى إلى قوله : ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ وهم البكاءون .

ثم قال تعالى : ﴿ إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطيع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾ (٢) والخوالف : النساء . ثم ذكر خلفهم للمسلمين واعتذارهم ، فقال : ﴿ فأعرضوا عنهم ﴾ . . إلى قوله تعالى : ﴿ فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ (٣) .

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين ، فقال تعالى : ﴿ ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق ﴾ أى من صدقة أو نفقة فى سبيل الله ﴿ مغرمًا ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ﴾ (٤) .

• ما نزل فى المخلصين من الأعراب :

ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم ﴾ (٥) .

ما نزل فى السابقين من المهاجرين والأنصار : ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وفضلهم ، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان فقال : ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ (٦) ثم قال تعالى : ﴿ ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾ (٧) : أى لجوا فيه ، وأبوا غيره ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ ، والعذاب الذى أوعده الله تعالى مرتين ، فيما بلغنى غمهم بما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يردون إليه ، عذاب النار ، والخلد فيه . ثم قال تعالى : ﴿ وآخرون اعترفوا

(١) سورة التوبة : ٨٨ - ٩٠ . (٢) سورة التوبة : ٩٢ - ٩٣ .

(٣) سورة التوبة : ٩٦ . (٤) سورة التوبة : ٩٩ .

(٥) سورة التوبة : ٩٩ . (٦) سورة التوبة : ١٠٠ . (٧) سورة التوبة : ١٠١ .

— ٣٠٤ — ابن إسحاق —

بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴿١﴾ .

ثم قال : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ ﴿٢﴾ إلى آخر القصة ، ثم قال تعالى : ﴿ وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ﴾ ﴿٣﴾ ، وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرهم حتى أتت من الله توبتهم ، ثم قال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً ﴾ ﴿٤﴾ إلى آخر القصة ثم قال تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ ﴿٥﴾ ثم كان قصة الخبر عن تبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة .

وكانت براءة تُسمى في زمان النبي ﷺ وبعده المبعثرة ، لما كشفت من سرائر الناس ، وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ .

* * *

• (٢) سورة التوبة : ١٠٣ .

• (٤) سورة التوبة : ١٠٧ .

• (١) سورة التوبة : ١٠٢ .

• (٣) سورة التوبة : ١٠٦ .

• (٥) سورة التوبة : ١١١ .

حَسَّانُ يَعْدُدُّ مَغَازِيَهُ ﷺ شِعْرًا

وقال حسان بن ثابت يذكر أيام الأنصار مع النبي ﷺ ، ويذكر مواطنهم معه

أيام غزوه :

- | | |
|---|---|
| (١) ومَعْشَرًا إِنْ هُمْ عَمَوْا وَإِنْ حَصَلُوا | أَلَسْتُ خَيْرَ مَعْدٍ كُلِّهَا نَفَرًا |
| (٢) مَعَ الرَّسُولِ فَمَا آلَوْا وَمَا خَذَلُوا | قَوْمٌ شَهَّدُوا بَدْرًا بِأَجْمَعِهِمْ |
| (٣) مِنْهُمْ وَلَمْ يَكْ فِي إِيْمَانِهِمْ دَخَلٌ | وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ |
| (٤) ضَرَبَ رَصِينَ كَحَرِّ النَّارِ مُشْتَعِلٌ | وَيَوْمَ صَبَحَهُمْ فِي الشُّعْبِ مِنْ أَحَدٍ |
| (٥) عَلَى الْجِيَادِ فَمَا خَامَوْا وَمَا نَكَلُوا | وَيَوْمَ ذِي قَرْدٍ يَوْمَ اسْتِثَارَ بِهِمْ |
| (٦) مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالْأَسْلُ | وَذَا الْعَشِيرَةِ جَاسُوهَا بِخَيْلِهِمْ |
| (٧) بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزْنَ وَالْجَبِلُ | وَيَوْمَ وَدَانَ أَجْلُوا أَهْلَهُ رَقَصًا |
| لِللَّهِ وَاللَّهُ يُجْزِيهِمْ بِمَا عَمَلُوا | وَكَيْلَةً طَلَبُوا فِيهِمَا عَدُوَّهُمْ |
| (٨) مَعَ الرَّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالنَّقْلُ | وَعَزْوَةٌ يَوْمَ نَجَدْنَا كَانَتْ لَهُمْ |
| (٩) فِيهَا يَعْلَمُهُمْ بِالْحَرْبِ إِذْ نَهَلُوا | وَلَيْلَةً بِحُثَيْنٍ جَالَدُوا مَعَهُ |
| كَمَا تَفَرَّقَ دُونَ الْمَشْرِبِ الرِّسْلُ | وَعَزْوَةٌ الْقَاعِ فَرَقْنَا الْعَدُوَّ بِهِ |
| عَلَى الْجِلَادِ فَآسَوه وَمَا عَدُّوا | وَيَوْمَ بُويعَ كَانُوا أَهْلًا بِيَعْتَهُ |

(١) حصلوا : أصلها بتشديد الصاد وخففها لضرورة الشعر . ومعنى حصلوا :

جمعوا .

(٢) فما آلوا : ما قصرُوا . (٣) دخل : فساد .

(٤) رصين : ثابت الحكم . (٥) خام : جبن وتراجع .

(٦) جاسوها : وطئوها . البيض : السيوف . الأسل : الرماح .

(٧) الرقص : نوع من المشى . الحزن : الأرض الغليظة المرتفعة .

(٨) يعلمهم : يكرر عليهم ، من العلل وهو الشرب الثاني ، نهلوا : شربوا الشرب

(٩) الرسل : الإبل .

الأول .

وَعَزَّوَةَ الْفَتْحِ كَانُوا فِي سِرِّيهِ
وَيَوْمَ خِيَرٍ كَانُوا فِي كِتَابِيهِ
بِالْبَيْضِ تَرَعُشُ فِي الْإِيمَانِ عَارِيَّةً
وَيَوْمَ سَارِ رَسُولِ اللَّهِ مُحْتَسِبًا
وَسَاسَةَ الْحَرْبِ إِنْ حَرْبٌ بَدَتْ لَهُمْ
أُولَئِكَ الْقَوْمِ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَهُمْ
مَاتُوا كِرَامًا ، وَلَمْ تَنْكَثْ عَهْدُهُمْ

مرابطين فَمَا طَاشُوا وَمَا عَجَلُوا
يَمُشُونَ كُلُّهُمْ مُسْتَبْسِلٌ بَطْلُ
تَعُوجٌ فِي الضَّرْبِ أَحْيَانًا وَتَعْتَدِلُ
إِلَى تَبُوكَ وَهُمْ رَايَاتِهِ الْأَوَّلُ
حَتَّى بَدَا لَهُمُ الْإِقْبَالُ وَالْقَفْلُ (١)
قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حِينَ أَتُصَلُّ
وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذْ قُتِلُوا

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

كُنَّا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ
وَأَكْرَمَنَا اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ غَيْرُهُ
بِنَصْرِ الْإِلَهِ وَالرَّسُولِ وَدِينِهِ
أُولَئِكَ قَوْمِي خَيْرَ قَوْمٍ بِأَسْرِهِمْ
يَرْبُونَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٍ مِنْ مَضَى
إِذَا اخْتَبَطُوا لَمْ يَفْحَشُوا فِي نَدِيهِمْ
وَإِنْ حَارَبُوا أَوْ سَالَمُوا لَمْ يَشْبَهُوا
وَجَارَهُمْ مَوْفٍ بِعِلْيَاءِ بَيْتِهِ
وَحَامِلُهُمْ مَوْفٍ بِكُلِّ حُمَاتِهِ
وَقَائِلُهُمْ بِالْحَقِّ إِنْ قَالَ قَائِلٌ
وَمَنَا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ حَيَاتِهِ

فلما أتى الإسلام كان لنا الفضلُ
إله بأَيَّامٍ مضتْ ما لَهَا شَكْلُ
وَالْبَسْنَاهُ اسْمًا مَضَى مَا لَهُ مِثْلُ
فَمَا عَدَ مِنْ خَيْرٍ فَقَوْمِي لَهُ أَهْلُ
وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ دُونَ مَعْرُوفِهِمْ قَفْلُ (٢)
وَلَيْسَ عَلَى سَوَالِهِمْ عِنْدَهُمْ بَخْلُ (٣)
فَحَرِبَهُمْ حَتَفَ وَسَلَّمَهُمْ سَهْلُ
لَهُ - مَا ثَوَى فِيْنَا - الْكَرَامَةُ وَالْبَذْلُ
تَحْمِلُ لَا غَرَمَ عَلَيْهَا وَلَا خَذْلُ
وَحِلْمُهُمْ عَوْدَ وَحُكْمُهُمْ عَدْلُ (٤)
وَمَنْ غَسَلَتْهُ مِنْ جَنَابَتِهِ الرَّسُلُ (٥)

(١) القفل : الرجوع . (٢) يربون : يصلحون .

(٣) اختبطوا : قصدوا . (٤) عود : متكرر .

(٥) أمير المسلمين : هو سعد بن معاذ فإن الانتصار تزعم أن الرسول قال للمسلمين جميعا مهاجرين وأنصار قوموا إلى سيدكم . أما من غسلته الملائكة ، هو حنظلة المدعو غسيل الملائكة وهو أنصاري .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

قَوْمِي أَوْلَكَ إِن تَسْأَلِي	كِرَامَ إِذَا الضَّيْفُ يَوْمًا أَلَمَ
عِظَامُ الْقُدُورِ لَا يَسْأَرُهُمْ	يَكْبُونُ فِيهَا الْمَسْنُ السَّنَمُ ^(١)
يَوَاسُونَ جَارَهُمْ فِي الْغِنَى	وَيَحْمُونَ مَوْلَاهُمْ إِنْ ظَلِمَ
فَكَانُوا مَلُوكًا بِأَرْضِيهِمْ	يَنَادُونَ عَضْبًا بِأَمْرٍ غَشِمَ
مُلُوكًا عَلَى النَّاسِ ، لَمْ يَمْلِكُوا	مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا كَحُلِّ الْقَسَمِ ^(٢)
فَأَنْبَوَ بَعَادَ وَأَشْيَاعَهُ	تَمُودَ وَبَعْضَ بَقَايَا إِرَمَ ^(٣)
يَبْتَرِبُ قَدْ شَيَّدُوا فِي النَّخِيلِ	حَصُونًا وَدَجْنَ فِيهَا النَّعَمُ ^(٤)
نَوَاضِحَ قَدْ عَلِمْتَهُمَا الْيَهُو	دُعِلَ إِلَيْكَ وَقَوْلًا هَلَمَ ^(٥)
وَفِيمَا اشْتَهَوْا مِنْ عَصِيرِ الْقَطَا	فِ الْعَيْشِ رَخْوًا عَلَى غَيْرِهِمْ
فَسَرْنَا إِلَيْهِمْ بِأَثْقَالِنَا	عَلَى كُلِّ فَحْلٍ هِجَانٌ قَطِمَ ^(٦)
جَنَبْنَا بَهْنَ جِيَادِ الْخَيْو	لِ قَدْ جَلَّلُوهَا جَلَالِ الْأَدَمِ ^(٧)
فَلَمَّا أَنَاخُوا بِجَنْبِي صِرَارَ	وَشَدُّوا السَّرُوجَ بَلَى الْحَزَمِ
فَمَا رَاعَهُمْ غَيْرَ مَعَجِ الْخَيْولِ	وَالزَّحْفِ مِنْ خَلْفِهِمْ قَدْ دَهَمَ ^(٨)
فَطَارُوا سَرَاعًا وَقَدْ أَفْزَعُوا	وَجِئْنَا إِلَيْهِمْ كَأَسَدِ الْأَجَمِ
عَلَى كُلِّ سَلْهَبَةٍ فِي الصِّيَا	نَ لَا يَشْتَكِينَ نَحُولَ السَّأَمِ ^(٩)
وَكَلَّ كَمَيْتٍ مَطَارِ الْفَوَادِ	أَمِينَ الْفُصُوصِ كَمَثَلِ الزَّلَمِ ^(١٠)

- (١) الأيسار : من يدخلون في الميسر . المسن : الكبير . السنم : عظيم السنم .
 (٢) حل القسم : يراد بها المدة القصيرة . (٣) أنبوا : أنبتوا .
 (٤) دجن : اختفت في البيوت .
 (٥) النواضح : الإبل التي يسقى عليها الماء . عل : كلمة تزجر بها الإبل .
 (٦) الهجان : الأبيض . قطم : المشتى الضراب .
 (٧) جنبنا : قدنا إلى جنبنا . جللوها : غطوها . الأدم : الجلد .
 (٨) معج : مسرعة . (٩) السلهبة : الفرس السريعة .
 (١٠) مطار : ذكي . أمين الفصوص : ما قوي من العظام . الزلم : القدح .

عليها فوارسٌ قد عودوا
ملوكٌ إذا غشموا في البلاد
فأبنا بساداتهم والنساء
ورثنا مساكنهم بعدهم
فلما أتانا الرسول الرشيد
قلنا صدقت رسول الملك
فنشهد أنك عبد الإله
فأنا وأولادنا جنة
فنحن أولئك إن كذبوك
وناد بما كنت أخفيته
فصار الغواة بأسياهم
فقمنا إليهم بأسيافنا
بكل صقيـل له ميعه
إذا ما يصادف صم العظا
فذلك ما ورثتنا القرو
إذا مر نسل كفى نسله
فما إن من الناس إلا لنا

قراع الكمان وضرب البهم^(١)
لا يَنكَلون ولكن قدَم^(٢)
وأولادهم فيهم تقتسم
وكُنَّا ملوكاً بها لم نرم
د بالحق والنور بعد الظلم
هلم إلينا وفيـنا أقم
به أرسلت نوراً بدين قيم
نقيك وفي مالنا فاحتكم
فناد نداءً ولا تحتشم
نداءً جهاراً ولا تكتسم
إليه يظنون أن يخترم^(٣)
نُجالد عنه بغاة الأمم
رقيق الذباب عضوض خذم^(٤)
م لم ينب عنها ولم ينثلم
م مجداً تليداً وعزا أشم^(٥)
وغادر نسلا إذا ما انفصم^(٦)
عليه وإن خاس فضل النعم^(٧)

(١) البهم : الأبطال الشجعان .

(٢) غشموا : اشتد ظلمهم ، لا يَنكَلون : لا يرجعون هائمين .

(٣) يخترم : يهلك .

(٤) له ميعه أى مصقول يشبه المائعات فى بريقه وصفائه . الذباب : حد السيف ،

خذم : قاطع .

(٥) القروم : السادة . التليد : القديم . الأشم : العالى .

(٦) انفصم : انقرض . (٧) خاس : غدر .

ذِكْرُ سَنَةِ تِسْعٍ وَتَسْمِيَتِهَا سَنَةَ الْوَفُودِ وَنَزُولِ سُورَةِ الْفَتْحِ (١)

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبaiعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه (٢) .

• انقياد العرب وإسلامهم :

قال ابن إسحاق : إنما كانت العرب تريض بالإسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله ﷺ ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام (٣) الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وضريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لا ينكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت (٤) له قريش ، ودخلها الإسلام وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال عز وجل : أفواجاً يضربون (٥) إليه من كل وجه ، ويقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴿ (٦) .

* * *

(١) يقصد هنا سورة النصر .

(٢) قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيد أن ذلك كان فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

(٣) أى القدوة .

(٤) أى خضعت له واعترفت به .

(٥) أى يأتون إليه ، يضربون إليه أكباد الإبل : أى يأتون إليه من كل مكان محمولون على الإبل .

(٦) سورة النصر بأكملها وهى مدنية ، وتسمى سورة « التوديع » وهى ثلاث آيات ، وهى آخر سورة نزلت جميعاً - أى كاملة - انظر تفسير القرطبى ١٠ / ٧٥٧٤ ط . دار الغد العربى .

قُدُومُ وَقَدِ بَنِي تَمِيمٍ وَنَزُولُ سُورَةِ الْحَجَرَاتِ

• رجال الوفد

فقدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب ، فقدم عليه عطارذ بن حاجب (١) ابن زرارة بن عدس التميمي ، في أشراف بني تميم ، منهم الأقرب بن حابس التميمي والزبرقان بن بدر التميمي ، أحد بني سعد ، وعمرو بن الأهتم والحبحاب بن يزيد . قال ابن إسحاق : وفي وفد بني تميم نعيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم : أخو بني سعد ، في وفد عظيم من بني تميم . قال ابن إسحاق : ومعهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وقد كان الأقرب بن حابس ، وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنينا والطائف .

أصحاب الحجرات : فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته : أن اخرج إلينا يا محمد ، فأذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا . قال : قد أذنت لخطيبكم فيقل .

كلمة عطارذ : فقام عطارذ بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن ، وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا ، وأيسره عدة ، فمن مثلنا في الناس وأولى فضلهم ؟ فمن فاجر فليعدد مثل ما عددنا ، ولو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نعرف بذلك . أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس .

ثابت بن قيس يرد على عطارذ :

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس ، أخى بني الحارث ابن الخزرج : قم ، فأجب الرجل في خطبته : فقام ثابت ، فقال :

(١) هو أحد بني دارم بن مالك وكذلك الأقرب بن حابس .

— ٣١١ — ابن إسحاق

الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شىء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقاه حديثا ، وأفضله حنبا ، وأنزل عليه كتابه وأتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العاملين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس حسبا ، وأحسن الناس وجوهاً وخير الناس فعلاً ، ثم كان أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن ، فتحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله . فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه . ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً ، وكان قتله علينا سيرا . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

● شعر الزبرقان فى الفخر بقومه :

فقام الزبرقان بن بدر فقال :

نحنُ الكرامُ فلا حَـى يُعادلنا	مِنَّا الملوِكُ وفينا تُنصَبُ البيعُ ^(١)
وكم قسَرنَا من الأحياء كُلهم	عند النُّهابِ وفضل العز يتبعُ
وَنحن نُطعم عند القحطِ مَطعمنا	من الشَّواءِ إذا لم يؤتس القزعُ ^(٢)
بِما ترى النَّاسُ تآتينا سُرَاتهم	مِن كل أرض هويًا ثم نصطنعُ ^(٣)
فَننحر الكُومَ عِبطًا فى أرومتنا	لِلنَّازِلينَ إذا ما أنزلوا شَبْعُوا ^(٤)
فَلا تَرانا إلى حَـى نُفاخرهم	إلا استفادوا فكانوا الرأسِ يقتطعُ
فَمَن يُفاخرنا فى ذاك نَعرفه	فَيرجعُ القوم والأخبار تُستَمعُ
إنا أبينا ولا يَأبى لَنَا أَحَدٌ	إِنَّا كذلِكَ عِندَ الفَخْرِ نَرتفعُ

(١) البيع : أماكن العبادة والصلاة .

(٢) القزع : السحاب الرقيق ليس فيه مطر

(٣) هويًا : سراعًا .

(٤) الكوم : النوق عظام الأسنة ، عبطا : بلا سبب ، الأرومة : الكرم ، وتأتى أيضًا

بمعنى الأصل .

● حسان يرد على الزبرقان :

قال ابن إسحاق : وكان حسان غائباً ، فبعث إليه رسول الله ﷺ ، قال حسان : جاءني رسوله ، فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم ، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول :

مَنَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَسَطْنَا عَلَى أَنْفٍ رَاضٍ مِنْ مَعْدٍ وَرَاغِمٍ
مَنَعْنَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بِيْـمُوتِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ
بِيْتِ حَرِيدٍ عَزَهُ وَثَرَاؤُهُ بِجَايَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاجِمِ (١)
هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودْدُ الْعُودُ وَالنَّدَى وَجَاهِ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالِ الْعِظَائِمِ (٢)

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ ، وقام شاعر القوم ، فقال ما قال ، عَرَضْتُ فِي قَوْلِهِ ، وَقُلْتُ عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ . قال : فلما فرغ الزبرقان ، قال رسول الله ، لحسان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال : فقام حسان ، فقال :

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ بَيَّنُّوا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تَتَبَعُ (٣)
يَرْضَى بِهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى إِلَهَهُ وَكُلِّ الْخَيْرِ يَصْطَنَعُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاحِلُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرَ مُحَدَّثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمْ شَرَّهَا الْبِدْعُ (٤)
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لَأَدْنَى سَبَقِهِمْ تَبَعُ
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفَهُمْ عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلَا يُوْهُونَ مَا رَقَعُوا (٥)
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبَقَهُمْ أَوْ وَارَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالنَّدَى مَتَعُوا (٦)
أَعْفَى ذُكِرَتْ فِي الْوَحَى عَفْتَهُمْ لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يَرْدُ بِهِمْ طَمَعُ (٧)
لَا يَبْخُلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسَهُمْ مَنْ مَطْمَعٌ طَبَعُ (٨)

(١) الحريد : الفريد في العز . الجولان : بلد بسوريا ، والمراد أن عزهم قديم متصل بحضور الغساسنة في الشام .

(٢) السودة : المجد ، والعود : المتكرر .

(٣) الذوائب : السادة الأشراف . (٤) السجية : الطبيعة .

(٥) أوهت : هدمت . (٦) متعوا : رادوا وارتفعوا .

(٧) لا يطبعون : لا يتدنسون . (٨) طبع : دنس .

إذا نصبنا لحى لم ندب لهم
نسمو: إذا الحرب نالتنا مخالبا
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم
كانهم فى الوغى والموت مكتنع
نخذ منهم ما أتى عفوا إذا غضبوا
فإن فى حربهم - فاترك عداوتهم
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم
أهدى لهم مدحتى قلب يؤارره
فإنهم أفضل الأحياء كلهم

كما يدب إلى الوحشية الذرع^(١)
إذا الزعانف من أظفارها خشعوا^(٢)
وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع^(٣)
أسد بحلية فى أرساغها فدع^(٤)
ولا يكن همك الأمر الذى منعوا
شرا يخاض عليه السم والسلع^(٥)
إذا تفاوتت الأهواء والشيع
فيما أحب لسان حائك صنع
إن جد بالناس جد القول أو شمعوا^(٦)

شعر آخر لحسان فى الرد على الزبرقان : وقال حسان بن ثابت أيضا :

هل المجد إلا السودد العود والندى
نصرنا وآوينا النبى محمدا
بحى حريد أصله وثرأوه
نصرناه لما حل وسط ديارنا
جعلنا بنينا دونه وبناتنا
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا

وجاه الملوك واحتمال العظام
على أنف راض من معد وراغم
بجاية الجولان وسط الأعاجم
بأسيفنا من كل باغ وظالم
وطبنا لـه نفسا بقاء المغانم
على دينه بالمرهقات الصوارم

- (١) نصبنا : أظهرنا العداوة ، الذرع : ولد بقرة الوحش .
(٢) نسمو : نهض ، الزعانف : يريد بها أطراف الناس ، خشعوا : تذللوا .
(٣) الخور : الضعف .
(٤) مكتنع : قريب من حلية : مكان باليمن تكثر فيه الأسود ، الأرساغ : جمع رسغ وهو ما بين الساق والقدم ، فدع : اعوجاج .
(٥) السلع : نبات سام .
(٦) شمعوا : هزلوا .

— ٣١٤ — ابن إسحاق —

ونحنُ وكُلنا من قريش عَظِيمها ولدنا نبي الخير من آل هاشم (١)
 بنى دارم لا تفخروا إنَّ فخركم يعودُ وبالا عند ذكر المكارم
 هبَلتم علينا تفخـُـرون وأنتم لنا خَوَك ما بين ظئر وخادم (٢)
 فإن كنتم جئتم لحقنِ دماءكم وأمواَلكم أن تقسموا فى المقاسم
 فلا تجعلوا لله ندًّا وأَسلَموا ولا تلبسوا زيًّا كَزَى الأعاجم

إسلام الوفد : قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال
 الأقرع بن حابس : وأبى ، إن هذا الرجل لُمُوتى له (٣) ، ولخطيبه أخطب من
 خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا ، فلما فرغ
 القوم أسلموا . وجوزهم (٤) رسول الله ﷺ ، فأحسن جوائزهم .

شعر ابن الأَهمتم فى هجاء قيس : وكان عمرو بن الأَهمتم قد خلفه القوم فى
 ظهرهم (٥) ، وكان أصغرهم سنا . فقال قيس بن عاصم ، وكان ييغض عمرو بن
 الأَهمتم : يا رسول الله ، إنه قد كان رجل منا فى رحالنا ، وهو غلام حدث ،
 وأُرى به فأعطاه رسول الله ﷺ مثلما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأَهمتم حين
 بلغه أن قيسًا قال ذلك يهجوهُ :

ظَلَلْتُ مفترشَ الهَلَباء تشْتِـمِـنِى عندَ الرسولِ فلم تصدق ولم تصبِ (٦)
 سَدناكم سؤددا رهوًّا وسؤددكم باد نواجله مَقـُـع على الذَّنْبِ (٧)
 قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء
 الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ (٨) .

* * *

- (١) ذلك أن أم عبد المطلب من أهل يثرب .
 (٢) هبَلتم : ثكلتم . الخول : العبيد والخدم ، الظئر : المرضعة غير ولدها .
 (٣) مُوتى له : أى موفق . (٤) أى أعطاهم جائزة ومكافئة .
 (٥) ظهرهم : إبلهم .
 (٦) الهلباء : ما غلظ من الشعر وصلب .
 (٧) رهوًّا : متسعمًا ، النواجل : الأسنان ، مقع : جالس .
 (٨) الحجرات : الآية ٤ .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس في الوفاة عن بني عامر

• رؤساء الوفد :

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر ، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر ، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

• عامر يدبر الغدر بالرسول ﷺ :

فقدم عامر بن الطفيل عدو الله ، على رسول الله ﷺ ، وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم ، قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تتبع العرب عقبي ، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قریش ، ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل ، فأنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله ^(١) بالسيف ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ، قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالني ^(٢) ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده . قال : يا محمد خالني - وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به - فجعل أربد لا يحير شيئاً ، قال : فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالني ، قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له ، فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : . . . ر
لأملأنها عليك خيلاً ورجالا ، فلما ولى قال رسول الله ﷺ ، اللهم اكفني عامر ابن الطفيل . فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ ، قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك . وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا أبالك ، لا تعجل على ، والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ^(٣) ؟

(١) أى اقتله به . (٢) أى اتخذنى خليلاً وصاحباً .

(٣) وهذه من معجزات الله إذ أخفى نبيه عن وجه هذا الكافر ليرد كيده فى نحره .

— ٣١٦ — ابن إسحاق —

موت عامر بدعاء الرسول عليه : وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأة من بنى سلول ، فجعل يقول : يا بنى عامر ، أغدة كغدة البكر ^(١) في بيت امرأة من بنى سلول ؟!

موت أريد بصاعقة : قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين واروه ، حين قدموا أرض بنى عامر شاتين ، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أريد ؟ قال : لا شيء . والله ، لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندى الآن ، فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جملة صاعقة ، فأحرقتهما ، وكان أريد بن قيس أخا لييد بن ربيعة لأمه ^(٢) .

شعر لييد في بكاء أريد : قال ابن إسحاق : فقال لييد يكي أريد :

مَا إِنْ تَعَدَّى الْمُنُونُ مِنْ أَحَدٍ	لَا وَالدَّ مَشْفُوقٌ وَلَا وَكِدْ
أَخْشَى عَلَى أَرِيدَ الْخُتُوفَ وَلَا	أَرْهَبُ نَوْءَ السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ
فَعَيْنٌ هَلَّا بِكَيْتِ أَرِيدَ إِذْ	قَمْنَا وَقَامَ النِّسَاءُ فِي كَبِدِ ^(٣)
إِنْ يَشْغَبُوا لَا يُبَالِ شَغْبُهُمْ	أَوْ يَقْصِدُوا فِي الْحُكُومِ يَقْتَصِدْ
حَلُّو أَرِيدَ ^(٤) وَفِي حَلَاوَتِهِ	مَرَّ لَطِيفِ الْأَحْشَاءِ وَالْكَبِدِ
وَعَيْنٌ هَلَّا بِكَيْتِ أَرِيدَ إِذْ	أَلَوْتَ رِيَّاحَ الشِّتَاءِ بِالْعُضْدِ
وَأَصْبَحْتُ لَأَقْحَا مِصْرَمَةَ	حِينَ تَجَلَّتْ غَوَابِرُ الْمَدَدِ ^(٥)

(١) الغدة مرض يصيب الإبل تموت منه ، البكر : الفتى من الإبل .

(٢) قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ! قال : وأنزل الله عز وجل في عامر وأريد : ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ﴾ . إلى قوله : ﴿ وما لهم من دونه من وال ﴾ .

قال : المعقبات : هى من أمر الله يحفظون محمداً ، ثم ذكر أريد وما قتله الله به ، فقال : ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ﴾ إلى قوله : ﴿ شديد المحال ﴾ .

(٣) الكبد : المشقة والحزن . (٤) الأريب : الداهى الفطن .

(٥) مصرمة : لا لبن فيها . الغواير : البقايا .

أشجع من ليث غـابة لحم	ذو نهمة في العلا ومنتقد ^(١)
لَا تَبْلُغُ العَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا	ليلة تسمى الجـياد كالقدد ^(٢)
البَاعِثُ النُّوحَ فِي مَاتَمِهِ	مثل الظباء الأبقار بالجرد ^(٣)
فَجَعَنِي الْبَرْقُ وَالصَّوَاعِقُ بِالـ	فَارِسٍ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ النُّجْدِ
وَالْحَارِبُ الْجَاوِزُ الْحَرِيبُ إِذَا	جاء نكيبا وإن يعدد يعد ^(٤)
يَعْفُو عَلَى الْجَهْدِ وَالسَّوَالِ كَمَا	ينبت غيث الربيع ذو الرصد ^(٥)
كُلُّ بَنِي حَرَّةٍ مَصِيـرُهُمْ	قل وإن أكثرت من العدد
إِنْ يُغَبِّطُوا يَهْبِطُوا وَإِنْ أَمَرُوا	يوماً فهم للهلاك والنقد

قال ابن إسحاق : وقال ليبد أيضاً ييكي أربد :

ألا ذهبَ الْمُحَافِظُ وَالْمُحَامِي	وَمَانِعُ ضَيْمِهَا يَوْمَ الْخِصَامِ
وَأَيَقُنْتُ التَّفَرُّقَ يَوْمَ قَالُوا	تَقْسِمُ مَالِ أَرْبَدَ بِالسُّهُمِ
تَطِيرُ عَدَائِدُ الْأَشْرَاكِ شَفْعًا	وَوَتَرًا وَالزَّعَامَةُ لِلْغَلَامِ ^(٦)
فَوَدَعَ بِالسَّلَامِ أَبَا حُرَيْزٍ	وَقُلْ وَدَاعُ أَرْبَدَ بِالسَّلَامِ
وَكُنْتُ إِمَامِنَا وَكُنَّا نَظَامًا	وَكَانَ الْجَزْعُ يَحْفَظُ بِالنِّظَامِ ^(٧)
وَأَرْبَدُ فَارِسُ الْهَيْجَا إِذَا مَا	تَفَعَّرَتِ الْمَشَاوِجُ بِالْفَتَامِ ^(٨)
إِذَا بَكَرَ النِّسَاءُ مُرْدِفَاتٍ	حَوَاسِرٍ لَا يُجِئْنَ عَلَى الْخِدَامِ ^(٩)

-
- (١) لحم : كثيراً من أكل اللحم . منتقد : بصير بالأمر .
 (٢) القدد : السيور تصنع من الجلد .
 (٣) النوح : جماعة النساء النائحة . الجرد : الأراضي القاحلة .
 (٤) الحريب : السالب . والنكيب : المصاب .
 (٥) يعفو : يعطى . الرصد : الكلاء القليل .
 (٦) العدائد : الأنصباء . الأشراك : الشركاء . (٧) الجزع : الخرز اليماني .
 (٨) المشاجر : نوع من الهودج . الفتام : ما يفرش في الهودج .
 (٩) يجئن : يعطين . الخدام مفردا خدمة : الساق .

فَوَاءَ لَ يَوْمَ ذَلِكَ مَنْ أَنَا
وَيَحْمَدُ قَدْرَ أَرْبَدٍ مَنْ عَرَاها
وَجَارَتِهِ إِذَا حَلَّتْ لَدَيْهِه
فَإِنْ تَقَعْدُ فَمَكْرَمَةٌ حَصَان
وَهَلْ جُدَّتْ عَنْ أَخْوَيْنَ دَامَا
وَالَا الْفَرْقِدَيْنِ وَآلَ نَعَشِ
كَمَا وَآلَ الْمَحَلِّ إِلَى الْحَرَامِ (١)
إِذَا مَا ذُمَّ أَرْبَابُ اللَّحَامِ
لَهَا نَقْلٌ وَحِظٌ مِنْ سَنَامِ
وَإِنْ تَظْعَنَ فَمَحْسَنَةُ الْكَلَامِ
عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا ابْنِي شَمَامِ (٢)
خَوَالِدُ مَا تَحْدُثُ بَانْهَدَامِ (٣)

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضاً ييكى أربد :

أَنْعَ الْكَرِيمِ لِلْكَرِيمِ أَرْبَدَا
يَحْدَى وَيُعْطَى مَالَهُ لِيَحْمَدَا
السَّابِلُ الْفَضْلَ إِذَا مَا عُدَا
رِفْهَا إِذَا يَأْتِي ضَرِيكَ وَرَدَا
يَزْدَادُ قُرْبًا مِنْهُمْ أَنْ يُوعَدَا
غِيَا وَمَالًا طَارِفًا وَوَلَدَا
وَقَالَ لِبِيدٍ أَيْضًا :

لَنْ تُفْنِيَنَا خَيْرَاتُ أَرْبَدٍ فَأَبْكِيَا حَتَّى يَعُودَا

- (١) وآل : ألبأ . (٢) ابنا شمام : جبلان .
(٣) الفرقدان : لجمان نيران . وآل نعش يقصد بنات نعش الكبرى والصغرى :
مجموعات من النجوم .
(٤) يحدى : يعطى . الأدم : الإبل البيض . الصور : القطيع من بقر الوحش .
أبدا : نافرة .
(٥) الجفنة : وعاء يصنع من خشب الأبنوس .
(٦) رِفْها : متكررا الضريك : الفقير . الغيل : أكمة الأسد . يقرؤ : يتبع .
جمد : اسم جبل .
(٧) الشرخ : أول الشباب ونضارته ، اليافع الغلام البالغ .

— ابن إسحاق — ٣١٩ —

قُولاً هُوَ الْبَطْلُ الْمَحَا — مِى حِينَ يَكْسُونَ الْحَدِيدَا
وَيَصْدُ عَنَا الظَّالِمِ — نَ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ صَيْدَا (١)
فَاعْتَاقَهُ رَبُّ الْبَرِّ — سَةَ إِذَا رَأَى أَنْ لَا خُلُودَا (٢)
فَتَّوَى وَلَمْ يُوجَّعْ وَلَمْ — يُوصَبْ وَكَانَ هُوَ الْفَقِيدَا
وقال لبيد أيضا :

يَذْكُرْنِي بِأَرْبَعٍ كُلَّ خِصْمٍ — أَلَدَ تَخْتَالُ خَطَّتْهُ ضَرَارَا (٣)
إِذَا اقْتَصَدُوا فَمَقْتَصِدٌ كَرِيمٌ — وَإِنْ جَارُوا سَوَاءَ الْحَقِّ جَارَا
وَيَهْدِي الْقَوْمَ مَطْلَعَا إِذَا مَا — دَلِيلَ الْقَوْمِ بِالْمَوْمَا حَارَا (٤)
قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضا :
أَصْبَحْتُ أَمْشِي بَعْدَ سَلَمَى بْنِ مَالِكٍ — وَبَعْدَ أَبِي قَيْسٍ وَعُرْوَةَ كَالْأَجْبِ (٥)
إِذَا مَا رَأَى ظِلَّ الْغُرَابِ أَضَجَّجَهُ — حَذَارًا عَلَى بَاقِي السَّنَاسِنِ وَالْعَصَبِ (٦)

* * *

-
- (١) الصيد : المتكبرون .
(٢) اعتاقه : أعاقه عن أن يبلغ غايته .
(٣) ألد : قوى الخصومة .
(٤) المومة : الصحراء .
(٥) الأجب : مقطوع السنام من البعير .
(٦) أضججه : صاح عليه . السناسن فقار الظهر .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم ، يقال له ضمام بن ثعلبة .

إسلامه : قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن الوليد بن نويفع عن كريب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ ، فقدم عليه ، وأناخ بعيه على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه ، وكان ضمام رجلاً جلدأ أشعر ذا غديرتين ^(١) ، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطلب . قال : أمحمد ؟ قال : نعم ، قال : يا بن عبد المطلب ، إني سائلك ومغلظ عليك في المسئلة ، فلا تجدن في نفسك ، قال : لا أجد في نفسي ، فسل عما بدا لك ، قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، الله بعثك إلينا رسولاً ؟ قال : اللهم نعم ، قال فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، الله أمرك أن تأمرنا أن نعبد وحده لا نشرك به شيئاً . وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، الله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ، قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضة منها ، كما ينشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتني عنه ، ثم لا أريد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيه راجعاً . قال : فقال رسول الله ﷺ : إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة .

دعوة قومه للإسلام : قال : فأتى بعيه فأطلق عقله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه . فكان أول ما تكلم به أن قال : بتست اللات والعزى !

(١) غديرتين : ذؤابتين من شعر .

— ابن إسحاق ٣٢١ —

قالوا : مه يا ضمام اتق البرص ، اتق الجنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لا يضران ، ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده . لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وقد جئتم من عنده بما أمركم به ، وما نهاكم عنه . قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما .

قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوفاء قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

● ما حدث بين الرسول وبين مسيلمة الكذاب :

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار فحدثني بعض علمائنا من المدينة : أن بنى حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب ، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه ، معه عسيب من سعف النخل ، في رأسه خوصات ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، وهم يسترونه بالثياب ، كلمه وسأله ، فقال له رسول الله ﷺ : لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا ، زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله ﷺ ، وخلفوا مسيلمة في رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبنا لنا في رحالنا وفي ركايبنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : أما إنه ليس بشركم مكانا ، أى لحفظه ضيعة أصحابه ، وذلك الذى يريد رسول الله ﷺ .

تنبؤ مسيلمة : قال : ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ ، وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إنى قد أشركت فى الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى : أما إنه ليس بشركم مكانا ، ماذا إلا لما كان يعلم أنى قد أشركت فى الأمر معه ، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة ^(١) للقرآن : « لقد أنعم الله على

(١) مضاهاة : مشابهة .

— ٣٢٢ — ابن إسحاق —

الخبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق (١) وحشى » . وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي ، فأصفت (٢) معه حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أى ذلك كان .

* * *

قُدوم (٣) زيد الخيل فى وفد طيء

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلموه ، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا ، فحسن إسلامهم ، وقال رسول الله ﷺ ، كما حدثنى من لا أتهم من رجال طيء ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ، ثم جاءنى ، إلا رأيته دون ما يقال فيه ، إلا زيد الخيل ، فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه ، ثم سمأه رسول الله ﷺ زيد الخير وقطع له فيداً وأرضين معه ، وكتب له بذلك ، فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه فقال رسول الله ﷺ : إن ينج زيد من حمى المدينة فإنه قال : قد سماها رسول الله ﷺ باسم غير الحمى ، وغير أم ملدم (٤) فلم يثبته . فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فردة ، أصابته الحمى بها فمات ، ولما أحس زيد بالموت قال :

أمرُ تحل قومى المشارق غدوةً وأتركُ فى بَيْتٍ بفردةٍ منجدٍ
ألا ربَّ يومٍ لو مَرِضْتُ لعادنى عوائد من لم يبرِ مِنْهُنَّ بجهدٍ (٥)

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه ، التى قطع له رسول الله ﷺ فحرقتها بالنار .

* * *

(١) الصفاق ما رقى من البطن .

(٢) أصفت : اجتمعت .

(٣) قدوم : أى قدومه يعلن إسلامه .

(٤) والاسم الذى ذهب عنه الراوى من أسماء الحمى ، هو أم كلبة .

(٥) يبرى : يجهد .

قَدُومُ عَدَى بْنِ حَاتِمٍ

• هروبه إلى الشام فراراً من الرسول ﷺ :

وأما عدى بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغنى : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرئاً شريفاً وكنت نصرانياً ، وكنت أسير فى قومي بالمرباع ^(١) فكنت فى نفسى على دين وكنت ملكاً فى قومي ، لما كان يصنع بى فلما سمعت رسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربى ، راعياً لإبلى : لا أبالك ، أعدد لى من إبلى أجماً ذلاً ^(٢) سماناً ، فاحتبسها قريباً منى ، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فأذنى ، ففعل ، ثم إنه أتانى ذات غداة ، فقال : يا عدى ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا هذه جيوش محمد . قال : فقلت : ف قرب إلى أجمالى ، ف قربها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام ، فسلكت الجوشية ، وخلفت بنتا ^(٣) لحاتم فى الحاضر . فلما قدمت الشام أقمت بها .

• أسر الرسول ابنة حاتم : وتخالفتنى خيل لرسول الله ﷺ ، فتصيب ابنة حاتم ، فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله ﷺ فى سبابا من طيء وقد بلغ رسول الله ﷺ هربى إلى الشام . قال : فجعلت بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا يحبس فيها ، فمر بها رسول الله ﷺ ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جزلة ، فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد فامن على من الله عليك . قال : ومن وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال الفار من الله

(١) أى آخذ ربع الغنيمة ، وكانت هذه عادة الرؤساء فى الجاهلية لمكانتهم فى قومهم .

(٢) الدليل : السهلة .

(٣) يقول السهيلي : اسمها سفانة ، لأنى وجدت فى خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه من سخائه قالت : فأخذ حاتم عدياً يعلله من الجوع ، وأخذت أنا سفانة ، ولا يعرف لعدى ولد ، انقرض عقبه ، ولحاتم عقب من قبل عبد الله بن حاتم ، ذكره القتبى ، ولا يعرف له بنت إلا سفانة ، فهى إذا هذه المذكورة فى السيرة . والله أعلم .

— ٣٢٤ — ابن إسحاق —

ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني ، حتى إذا كان من الغد مر بي . فقلت له مثل ذلك ، وقال لي مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يؤست منه ، فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلميته ، قالت : فقلت إليه فقلت : يا رسول الله هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن علي من الله عليك ، فقال ﷺ : قد فعلت ، فلا تعجلي بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذيني ^(١) . فسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن أكلمه ، فقيل : على بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بلي أو قضاة ، قالت : وإنما أريد أن آتي أخى بالشام . قالت : فجئت رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، قد قدم رهط من قومي ، لي فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكساني رسول الله ﷺ ، وحملني ، وأعطاني نفقة ^(٢) ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدى : فوالله إن لقاعد في أهلي ، إذ نظرت إلى ظعينة ^(٣) تصوب إلي تؤمنا ، قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هي هي ، فلما وقفت على أنسحلت ^(٤) تقول : القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بقية والدك عورتك ، قال : قلت أي أختية لا تقولي إلا خيراً ، فوالله ما لي من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت ، قال : ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها . وكانت امرأة حازمة - ماذا ترين في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكاً فلن تُذل في عز اليمن ، وأنت أنت ^(٥) قال : قلت : والله إن هذا الرأي .

(١) يا لها من أخلاق فاضلة وشهامة ومروءة من النبي ﷺ حتى مع غير المسلمين ، امرأة غير مسلمة بعد ما أطلق سراحها يخاف عليها أن تسافر لأخيها ، إلا بعد أن يطمئن عليها أنها في مأمن وذلك أنه طلب منها أن تنتظر رفقة من قومها ثقة لتسافر معهم ويطمئن الرسول بنفسه على ذلك !! .

(٢) وهذا من عظيم كرم النبي ﷺ أن أحسن إليها وأعطاه كساء ، ونفقة تكفيها حتى تصل لأخيها ، فيا ليتنا نتأسى بأخلاق الرسول ﷺ .

(٣) الظعينة : المرأة في اليهودج . (٤) أنسحلت : أخذت تلوم .

(٥) انظر إلى تفكير المرأة ومدى إعمال العقل وحسن نظرها ، على عكس نساء كثيرات اليوم يستخدمن عقولهن في أمور تافهة لا تنفع .

• إسلام عدى :

قال : فخرجت حتى أقدمُ على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ، فسلمتُ عليه ، فقال : من الرجل فقلت : عدى بن حاتم ، فقام رسول الله ﷺ ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بى إليه ^(١) ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تكلمه فى حاجتها ، قال : قلت فى نفسى والله ما هذا بملك ^(٢) ، قال : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بى بيته تناول وسادة من آدم محشوة ليفاً ، فقذفها إلى ، فقال : اجلس على هذه ، قال قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض ، قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدى بن حاتم ! ألم تك ركوسيا ؟ قال : قلت : بلى ، قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالرباع قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك ، قال : قلت : أجل والله ، وقال ^(٣) : وعرفت أنه نبي مرسل ، يعلم ما يُجهل ، ثم قال : لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم ^(٤) ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بغيرها حتى تزور هذا البيت ^(٥) ، لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم وإيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم ^(٦) ، قال : فأسلمت .

(١) أى إلى بيته .

(٢) لما رآه من تواضع الرسول ﷺ الشديد للمرأة وسماعه لها وحل مشكلتها .

(٣) أى عدى بن حاتم .

(٤) أى فقر المسلمين وقلة عددهم .

(٥) أى الكعبة المشرفة .

(٦) وكل ما قاله الرسول ﷺ وتنبأ به هو من أعلام النبوة وقد حدث بالفعل أثناء

— ٣٢٦ — ابن إسحاق —

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان ^(١) وبقيت الثالثة ، والله لتكونن ^(٢) ،
قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من
القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت وايم الله لتكون الثالثة ليفيض المال
حتى لا يوجد من يأخذه ^(٣) .

* * *

قُدُومُ فَرَوَةَ بْنِ مُسِيكٍ الْمُرَادِي

قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن مسيك المرادى على رسول الله ﷺ مفارقاً
للملوك كندة ، ومباعداً لهم إلى رسول الله ﷺ .

• يوم الردم :

وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة ، أصابت فيها همدان من مراد
ما أرادوا ، حتى أئخنوهم فى يوم كان يقال له : يوم الردم ، فكان الذى قاد همدان
إلى مراد : الأجدع بن مالك فى ذلك اليوم .

قال ابن إسحاق : وفى ذلك اليوم يقول فروة بن مُسِيك :

مَرَرْنَا عَلَى لُفَاةٍ وَهَنَ خُوصٌ	يُنَارِعُنُ الْأَعْنَةَ يَنْتَحِينَا ^(٤)
فَإِنْ نَغْلِبْ فَعَلَّابُونَ قَدَمَا	وَأِنْ نَغْلِبْ فَغَيْرُ مَغْلِبِينَا ^(٥)
وَمَا إِنْ طَبْنَا جَبْنَ وَلَكِنْ	مَنَايَانَا وَطُعْمَةٌ آخِرِينَا ^(٦)
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ	تَكَرَّرُ صُرُوفُهُ حِينَا فَحِينَا
فَبَيْنَا مَا نَسْرُ بِهِ وَنَرْضَى	وَلَوْ لَبَسَتْ غَضَارَتُهُ سَنِينَا

(١) أى مما أخبر وتنبأ به الرسول ﷺ .

(٢) وهذا دليل يقينه وتأكده من وعد الرسول بما سيحدث لأنه وحى ووعد من الله .

(٣) حدث هذا فى عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز .

(٤) لفاة : موضع . خوص : غائرات العيون .

(٥) معنى البيت : إن نغلب الناس فهذا من طبيعتنا وما تعودنا عليه منذ القدم . أما
وقد انهزمنا مرة فلن نتكرر .

(٦) طبنا : شأننا وعادتنا .

إِذْ انْقَلَبْتُ بِهِ كَرَّاتٍ دَهْرٍ فَالْفَيْتِ الْأَلَى غَبَطُوا طَحِينَا
فَمَنْ يَغْبِطُ بِرَيْبِ الدَّهْرِ مِنْهُمْ يَجِدُ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ تَحْتُونَا
فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذَنْ خَلَدْنَا وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذَنْ بَقَيْنَا
فَأَفْنَى ذَلِكَ سَرَوَاتُ قَوْمِي كَمَا أَفْنَى الْقُرُونُ الْأَوَّلِينَ

قال ابن إسحاق : ولما توجه فروة بن مُسيك إلى رسول الله ﷺ مفارقاً للملوك كندة ، قال :

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كَنْدَةَ أَعْرَضْتُ كَالرَّجُلِ حَانَ الرَّجُلُ عِرْقَ نَسَائِهَا (١)
قَرَبْتُ رَاحِلَتِي أَوْمَ مُحَمَّدًا أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَائِهَا

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، قال له رسول الله ﷺ : فيما بلغني : يا فروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم ؟ قال : يا رسول الله ، من ذا يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الردم لا يسوءه ذلك ! فقال رسول الله ﷺ له : أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً .

واستعمله النبي ﷺ على مُراد وزييد ومذحج كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ .

* * *

قُدُومُ عَمْرُو بْنِ مَعْدٍ يَكْرَبُ فِي أَنْاسٍ مِنْ بَنِي زُبَيْدٍ

وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد فأسلم وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ يا قيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجار ، يقول إنه نبي ، فانطلق بنا إليه ختني نعلم علمه ، فإن كان نبياً كما يقول : فإنه لن يخفى عليك . وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه ، فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على

(١) النساء : عرق يمتد من الورك إلى الكعب ، مده لضرورة الشعر والأصح أنه لا يقال عرق النساء لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه على مذهب البصريين وإن جوزه الكوفيون .

— ٣٢٨ — ابن إسحاق —

رسول الله ﷺ ، فأسلم ، وصدقه وآمن وآمن به فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمرواً ، وتحطم عليه (١) ، وقال : خالفني وترك رأبي فقال عمرو بن معد يكرب في ذلك :

أمرتكَ يوم ذى صنعا	ءَ أمرًا بـأديا رَشْدُهُ
أمرتكَ باتقـاءِ الله	والمعـروف تَتَعَبُهُ
خَرَجْتَ مِنَ المَنى مِثْلَ	الحميرِ غَرَّةً وَتَدُهُ
تَمَنَّا نَـى عَلَى فَرَسٍ	عَلَيْهِ جَالِسًا أَسَدُهُ
عَلَى مُفَاضَةٍ كَالنَهـِ	ى أَخْلَصَ مَاءَهُ جُدَدُهُ (٢)
تَرَدَّ الرِمحِ مُثْنَى السـِ	نَانِ عَوَاتِرًا قَصَدُهُ (٣)
فَلَوْ لَا قَيْتَنِي لِلْقِيـِ	تُ لَيْثًا فَوْقَهُ لِبَدُهُ (٤)
تَلَاقَى شَنْبُثَا شَثْنِ السـِ	سَبْرَاتِنِ نَاشِرًا كَتَدُهُ (٥)
يُسَامَى القَرْنِ إِنْ قَرْنَ	تَيْمَمُهُ فَيَعْتَضِدُهُ (٦)
فَيَأْخُذُهُ فَيَرْفَعُهُ	فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ (٧)
فَيَدْمَغُهُ فَيَحْطِمُهُ	فَيَخْضِمُهُ فَيَزْدَرِدُهُ (٨)
ظَلُومِ الشَّرِكِ فِيمَا أَحـِ	رَزَتْ أَنْيَابَهُ وَيَدُهُ

(١) تحطم عليه : اشتد عليه .

(٢) مفاضة : أى درج مفاضة وهى الواسعة ، النهى : غدير الماء ، الجدد : الأرض

الصلبة .

(٣) عواتر : متطايرة ، القصد : القطع المتطاير من الرمح .

(٤) اللبد : الشعر الذى على إكتاف ورءوس الأسود ، المفرد لبدة .

(٥) الشنبث : الذى لا يزال يمشى ، الشثن : غليظ الأصابع ، البرائن : مخالب

الأسد . ناشر : مرتفع . الكتد : ما بين الكتفين .

(٦) يعتضده . يضعه تحت عضده فيصرعه .

(٧) يقتصده : يصرعه .

(٨) يدمغه : يشج رأسه حتى يصل الجرح إلى أم دماغه ، يحطمه : يكسره .

يخضمه : يأكله . يزدرده : يبتلعه .

— ابن إسحاق — ٣٢٩ —

ارتداد عمرو بعد موت الرسول : قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زبيد وعليهم فروة بن مسيك ، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتد عمرو بن معديكرب وقال حين ارتد :

وَجَدْنَا مُلْكَ فُرُوءَ شَرِّ مُلْكٍ حَمَارًا سَافَ مِنْخَرُهُ بِثَفِيرٍ (١)

وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَ بَا عَمِيرٍ تَرَى الْخَوْلَاءَ مِنْ خَبْثٍ وَغَدِرٍ (٢)

* * *

قُدُومُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ فِي وَفْدِ كِنْدَةَ • إِسْلَامُ وَفْدِ كِنْدَةَ :

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس ، في وفد كندة فحدثني الزهري بن شهاب أنه قدم على رسول الله ﷺ في ثمانين راكباً من كندة فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده ، وقد رجلوا (٣) جمهم (٤) وتكحلوا وعليهم جيب الحبرة ، وقد كففوها (٥) بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال : ألم تسلموا ؟ قالوا : بلى ، قال : فما بال هذا الحرير في أعناقكم ، قال : فشقوقه منها ، فألقوه (٦) .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله ، نحن بنو أكل المار ، وأنت ابن أكل المار ، قال فتبسم رسول الله ﷺ وقال : ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعه بن الحارث ، وكان العباس وربيعه رجلين تاجرين وكانا إذا شاعا في بعض العرب ، فسئلا من هما ، قالا : نحن بنو أكل المار ، يتعززان بذلك ،

(١) ساف : شم . الثفر للبهائم كالرحم للنساء .

(٢) الخولاء : ما يخرج من الأضلاع مع الولد ساعة الولادة ، يشبه من يهجو أنه في

الخبث والقذارة مثل الخولاء .

(٣) رجلوا : مشطوا .

(٤) جمهم : الجمم جمع جمة وهي مجتمع شعر مقدم الرأس .

(٥) كففوها : طرروا حروفها .

(٦) وهذا منتهى الطاعة للرسول ﷺ لأنه نهى عن لبس الحرير والذهب للرجال فقال

عنهما « حرام على رجال أمتي حل لنسائهم » .

— ٣٣٠ — ابن إسحاق —

وذلك أن كندة كانوا ملوكا . ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفوا ^(١) أمنا ، ولا نتنفى من أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يا معشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلا يقولها ^(٢) إلا ضربته ثمانين .

* * *

قُدُومُ صَرْدُ بن عبد الله الأَرْدَى مُسْلِمًا

وقدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأَرْدَى ، فأسلم ، وحسن إسلامه في وفد من الأزد ، فأمره ^(٣) رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه . وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قبل ^(٤) اليمن .

قتاله أهل جَرَش : فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ ، حتى نزل بجَرَش ، وهى يومئذ مدينة معلقة ^(٥) ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضوت ^(٦) إليهم خثعم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا فيها منه ثم رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر ، ظن أهل جَرَش أنه إنما ولى عنهم منهزما ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عطف ^(٧) عليهم ، فقتلهم قتلا شديدا .

إخبار الرسول بما حدث : وقد كان أهل جَرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران ، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله ﷺ : بأى بلاد الله شكر ؟ فقام إليه الجرشيان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كشر ؛ وكذلك يسميه أهل جَرَش ، فقال : إنه ليس بكشر ، ولكنه شكر ؛ قالوا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال ^(٨) : إن بدن الله

(١) لا نقفوا أمنا : الاقتفاء والقفو : هو اتباع الشيء ، ومنه يقتفى أثره : أى يتبع طريقه ، ونهجه ، وهنا يريد : لا تتبع نسب أمنا .

(٢) أى يفتخر بقول : نحن بنو آكل المرار .

(٣) أى جعله قائداً لهم . (٤) أى ناحية اليمن .

(٥) أى أنهم معزولون فى مكان بعيد عن الناس ، ولا أحد بجوارهم .

(٦) ضوت : لجأت . (٧) أى ضغط وهجم عليهم .

(٨) وهذا من إخبار الله نبيه بما حدث هناك على حدود اليمن والنبي بالمدينة فسبحان من

علمه بذلك .

— ابن إسحاق — ٣٣١ —

لنحر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكمما ! إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما فقوموا إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما ، فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله ، في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر .

• إسلام أهل جرش :

وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا ، وحمى لهم حمى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة وللمثيرة ، وبقرة الحرث فمن رعاه من الناس فمالهم سحت ، فقال في تلك الغزوة رجل من الأزد ، وكانت خثعم تصيب من الأزد في الجاهلية ، وكانوا يعدون في الشهر الحرام :

يَا غَزْوَةً مَا غَزَوْنَا غَيْرَ خَائِبَةٍ	فِيهَا الْبَغَالُ وَفِيهَا الْخَيْلُ وَالْحُمْرُ
حَتَّى أَتَيْنَا حُمَيْرًا فِي مَصَانِعِهَا	وَجَمَعَ خَثْعَمٌ قَدْ شَاعَتْ لَهَا النَّذْرُ ^(١)
إِذَا وَضَعْتَ غَلِيلًا كُنْتُ أَحْمِلُهُ	فَمَا أَبَالِي أَدَانَا بَعْدُ أَمْ كَفَرُوا ^(٢)

* * *

قُدُومُ رَسُولِ مُلُوكِ حَمِيرٍ بِكِتَابِهِمْ

وقدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير ، مقدمه من تبوك ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ^(٣) ذي رعين ومعافر وهمدان ، وبعث إليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوى بإسلامهم ، ومفارقتهم الشرك وأهله .

• كِتَابُ الرِّسُولِ إِلَيْهِمْ :

فكتب إليهم رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله ، إلى الحارث بن

(١) المصانع : القرى .

(٢) الغليل : حرارة الجوف من عطش ونحوه .

(٣) قيل : هم الملوك الصغار بعد الملك الأكبر - أى نواب الملك الأكبر ومساعدوه .

• حبس الروم له وشعره ومقتله :

فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال في محبسه ذلك :

طَرَقْتُ سُلَيْمَى مُوهِنًا أَصْحَابِي	والرومُ بينَ الباب والقروان (١)
صَدَّ الْحَيَالُ وَسَاءَ مَا قَدْ رَأَى	وهملتُ أن أغفَى وقد أبكاني
لَا تَكْهَلَنَّ الْعَيْنَ بَعْدَى إِيْمَدًا	سَلَمَى وَلَا تَدِينَنَّ لِلإِتْيَانِ
وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَبَا كُبَيْشَةَ أَنَّنِي	وَسَطَ الْأَعْزَةَ وَلَا يَحْصُ لِسَانِي (٢)
فَلَيْتَن هَلَكْتُ لَتَفْقَدَنَّ أَخَاكُم	وَكَلَنَ بَقِيْتُ لَتَعْرِفَنَّ مَكَانِي
وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَ مَا جَمَعَ الْفَتَى	من جودة وشجاعة وبيان

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم ، يقال له عفرأ بفلسطين ، قال :
 ألا هل أتى سلمى بأن حليلها على ماء عفرأ فوق إحدى الرواحل
 على ناقة لم يضرب الفحل أمها مشدبة أطرافها بالمنـاجل

* * *

إِسْلَامُ بَنَى الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عَلَى يَدَي خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ لما سار إليهم

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن

(١) الموهن : نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه . قروان مثل صفوان : حويض من خشب تسقى فيه الدواب وتلغ فيه الكلاب وفي المثل ما فيها لاعي . قرو : أى لاعتق قرو .
 (٢) لا يحصى : لا يقطع .

— ٣٣٥ — ابن إسحاق

يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم ، فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون في كل وجه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون أيها الناس ، أسلموا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد : إلى رسول الله ﷺ ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : يا رسول الله ﷺ ، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم ، وقبلت منهم ، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، كما أمرني رسول الله ﷺ ، وبعثت فيهم ركباناً قالوا : يا بني الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم ، أمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ حتى يكتب إلى رسول الله ﷺ ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي رسول الله ، إلى خالد بن الوليد سلام عليك ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد :

فإن كتابك جاءني مع رسولك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

• قدوم خالد مع وفدهم على الرسول :

فاقبل خالد إلى رسول الله ﷺ ، وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب ،

— ٣٣٦ — ابن إسحاق —

منهم قيس بن الحصين ذى الغصّة (١) ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المحجل وعبد الله بن قراد الزياى ، وشداد بن عبد الله القنانى ، وعمرو بن عبد الله الضبابى فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرأهم . قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ، قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب ، فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلموا عليه ، وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ، قال رسول الله ﷺ : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله ﷺ : أنتم الذين إذا زجروا استقدموا : فسكتوا ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المدان : نعم يا رسول الله ، نحن الذين إذا زجروا استقدموا ، قالها أربع مرار (٢) ، فقال رسول الله ﷺ : لو أن خالداً لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا ، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم ، فقال يزيد ابن عبد المدان : أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً ، قال : فمن حمدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله ، قال : صدقتم . ثم قال رسول الله ﷺ : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحداً ، قال : بل ، قد كنتم تغلبون من قاتلكم ، قالوا : كنا نغلب من قاتلنا ، يا رسول الله إنا كنا نلتصع ولا نفترق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ، قال : صدقتم ، وأمر رسول الله ﷺ على بنى الحارث بن كعب قيس بن الحصين فرجع وفد بنى الحارث إلى قومهم فى بقية من شوال ، أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمشوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى توفى رسول الله ﷺ ، ورحم ، وبارك ، ورضى وأنعم .

الرسول يبعث عمرو بن حزم بعهد إليه : وقد كان رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ، ليفقههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره :

(١) ذو الغصّة : سمي بذلك لغصّة فى حلقه لا يكاد يبين منها ، واسمه الحسين بن يزيد بن شداد الحارثى . ذكره عمر بن الخطاب يوماً فقال : لا تزد امرأة فى صداقها عن كذا وكذا ولو كانت بنت ذى الغصّة . (٢) جمع مرة أى مرات .

— ابن إسحاق — ٣٣٧ —

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا بيان من الله ورسوله ، يأبها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه ، وينهى الناس . فلا يمس القرآن إنساناً إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ، والذى عليهم ، ويلين للناس في الحق ، ويشدد عليهم في الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ويبشر الناس بالجنة ويعملها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر : هو العمرة ، وينهى الناس أن يصلى أحد في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوباً يثنى طرفيه على عاتقيه وينهى الناس أن يحتبى أحد في ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوهرهم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة ، لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ويغسل بالصبح ، ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا يؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل ، وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله : وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل عشرين أربع شياه وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع ، جذع أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة . فمن زاد خيراً فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام . فإنه من المؤمنين ، له مثل مالهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها ، وعلى كل حال :

— ٣٣٨ — ابن إسحاق —

ذكر أو أنثى ، حرٌّ أو عبد ، دينار واف أو عوضه ثياباً فمن أدى ذلك ، فإن له ذمة الله ورسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

* * *

قُدُوم رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدِ الْجُدَامِيِّ

• إِسْلَامُهُ وَكُتَابُ الرَّسُولِ إِلَى قَوْمِهِ :

وقدم على رسول الله ﷺ في هدنة الحديبية ، قبل خيبر ، رفاعه بن زيد الجُدَامِي ثم الضبيبي ، فأهدى لرسول الله ﷺ غُلاماً ، وأسلم ، فحسن إسلامه وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه . وفي كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد ، إنى بعثته إلى قومه عامة . ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله . فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين . فلما قدم رفاعه على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرة : حرة الرجلاء ، ونزلوها (١) .

* * *

ذِكْرُ الْكَذَّابِينَ ؛ مُسَيْلَمَةَ الْحَنْفَى وَالْأَسْوَدَ الْعَنْسَى :

قال ابن إسحاق : وقد كان تكلم فى عهد رسول الله ﷺ الكذابان مسيلمة ابن حبيب باليمامة (٢) فى بنى حنيفة ، والأسود بن كعب العنسى بصنعاء .

(١) قال ابن هشام : وقدم بعد ذلك وفد همدان منهم : مالك بن نبط ، وأبو ثور ، وهو ذو المشعار ، ومالك بن أيفع وضمام بن مالك السلماني ، وعميرة بن مالك الحارفي ، فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه - أى عند رجوعه - من تبوك فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً على أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويأكلون علافها ويرعون عافيتها ، ولهم بذلك عهد الله وذمة رسوله ، وشهد المهاجرون والأنصار .

(٢) أخبر عنه النبي ﷺ وأشار إلى المشرق قائلاً : « من هنا يخرج قرن الشيطان » ونصر الله المسلمين فى غزوة اليمامة فى عهد الصديق أبى بكر ؓ - وقتلوا مسيلمة الذى ادعى النبوة وقتله وحشى الذى قتل قبل إسلامه سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ ، وقال وحشى عن حربته . قتلت بها خير الناس (يقصد حمزة) وقتلت بها شر الناس (يقصد مسيلمة) .

— ابن إسحاق — ٣٣٩ —

• رؤيا الرسول ﷺ فيهما :

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد عن عبد الله بن قسيط . عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره ، وهو يقول : أيها الناس ، إني قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها ورأيت في ذراعى سوارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنفختهما فطارا : فأولتهما هذين الكذابين . صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

• حديث الرسول عن الدجالين :

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً ، كلهم يدعى النبوة .

* * *

خُروج الأمراء والعُمال على الصدقات

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات . إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان ، فبعث المهاجر بن أبي أمية ابن المغيرة إلى صنعاء .

فخرج عليه العنسي وهو بها . وبعث زياد بن ليث أخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت وعلى صدقاتها وبعث عدى بن حاتم على طيء وصدقاتها . وعلى بني أسد ، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة وقرى صدقة بني سعد على رجلين منهم . فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها . وقيس بن عاصم على ناحية وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين ، وبعث على بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران . ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيته .

* * *

كِتَابُ مُسَيْلَمَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَالْجَوَابُ عَنْهُ

وقد كَانَ مُسَلِّمَةُ بن حبيب ، قد كتب إلى رسول الله ﷺ : من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ، أما بعد ، فإني قد أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قریش قوم يعتدون .

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثني شيخ من أشجع ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي ، عن أبيه نعيم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه « فما تقولان أنتما ؟ » قالوا : نقول : كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما » (١) .

ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى ؛ أما بعد : فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .
وذلك في آخر سنة عشر .

* * *

حَجَّةُ الْوَدَاعِ

تَجَهَّزَ الرَّسُولُ : قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت : خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة (٢) .

حكم الحائض في الحج : قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة . قالت : لا يذكر الناس إلا الحج ، حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله ﷺ معه الهدى ، وأشرف من أشرف الناس ، أمر الناس أن يحلوا بعمره إلا من ساق الهدى ، قالت : وحضت ذلك اليوم . فدخل على وأنا أبكى ، فقال : مالك يا عائشة ؟ لعلك نفست ؟ قالت : قلت : نعم . والله لوددت أني لم أخرج معكم عامي في هذا

(١) وهنا يتبين احترام الرسول ﷺ للعهود والمواثيق الدولية حتى مع الكفار الذين يختلفون معه في العقيدة ، ويبلغونه رسالة من كافر لكنه أحسن إليهم ولم يقتلهم .
(٢) واستعمل النبي ﷺ على المدينة أبا دجانة الساعدى .

— ابن إسحاق ٣٤١ —

السفر ، فقال : لا تقولن ذلك . فإنك تقضين كل ما يقضى الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخل رسول الله ﷺ بمكة ، فحل كل من كان لا هدى معه وحل نسائه بعمرة ، فلما كان يوم النحر أنيت بلحم بقر كثير فطرح فى بيتى ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله ﷺ عن نسائه البقر حتى إذا كانت ليلة الحصة بعث بى رسول الله ﷺ مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر فأعمرنى من التنعيم ، مكان عمرتى التى فاتتنى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر عن حفصة بنت عمر ، قالت : لما أمر رسول الله ﷺ نساءه أن يحللن بعمرة . قلنا : فما يمنعك يا رسول الله إن تحل معنا ؟ فقال : إني أهديت ولبدت^(١) فلا أحل حتى أنحر هديى .

* * *

مُؤَافَاةٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قَفُولِهِ مِنَ الْيَمَنِ

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن رسول الله ﷺ كان بعث عليا رضي الله عنه إلى نجران ، فلقيه بمكة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضى الله عنها ، فوجدها قد حلت وتهيأت ، فقال : مالك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن نحل بعمرة . فحللنا ، ثم أتى رسول الله ﷺ فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسول الله ، : انطلق فطف بالبيت ، وحل كما حل أصحابك ، قال : يا رسول الله ، إني أهلت كما أهلت ، فقال : ارجع فاحلل كما حل أصحابك ، قال : يا رسول الله ، إني قلت حين أحرمت : اللهم إني أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد ﷺ قال : فهل معك من هدى ؟ قال : لا . فأشركه رسول الله ﷺ فى هديه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله ﷺ الهدى عنهما .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، قال : لما أقبل على رسول الله ﷺ من اليمن ليلقى

(١) لبد شعره ألزقه بشيء لزوج كصمغ ونحوه حتى لا يتساقط شيء فيكون عليه فدية .

— ٣٤٢ — ابن إسحاق —

رسول الله ﷺ بمكة ، تعجل إلى رسول الله ﷺ واستخلف على جنده الذين معه رجل من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي رضي الله عنه ، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحلل ، قال : ويلك ما هذا ؟

قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس ، قال : ويلك ! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله ﷺ قال : فانتزع الحلل من الناس ، فردها في البز ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن حزم بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب ، وكانت عند أبي سعيد الخدري ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : اشتكى الناس علياً رضوان الله عليه ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً ، فسمعتة يقول : أيها الناس ، لا تشكوا علياً ، فوالله إنه لأخشن في ذات الله ، أو في سبيل الله ، من أن يشكى .

خطبة الوداع : قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله ﷺ على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التي بين فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولي ، فإنني لا أدرى لعلني لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً ، أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألکم عن أعمالکم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل رباً موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون فضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعاً في بني ليث ، فقتلته هذيل فهو أول ما أبداً به من دماء الجاهلية أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن النسئ زيادة في الكفر ، يُضَلُّ به الذين كفروا ، يحلونهُ عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم

— ابن إسحاق — ٣٤٣ —

خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر^(١) ، الذى بين جمادى وشعبان .

أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نساءكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح^(٢) فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً . فإنهن عندكم عوان^(٣) لا يملكن لأنفسهن شيئاً وأنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله . واستحللتم فروجهن بكلمات الله . فاعقلوا أيها الناس قولى . فإننى قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً . أمرا بينا . كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس : اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم . وأن المسلمين إخوة . فلا يحل لامرء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم . اللهم هل بلغت ؟

فذكر لى الناس قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد .
• اسم الصَّارِخِ بتبليغ ما يقوله رسول الله ﷺ :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير . عن أبيه عباد قال كان الرجل الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف قال : يقول له رسول الله ﷺ : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرون أى شهر هذا ؟ فيقول لهم . فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول له قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمه شهركم هذا . ثم يقول : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله ، يقول : هل

(١) رجب مضر ، إما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم شهر رمضان ، وتسميه : رجا من رجت الرجل ورجبته إذا عظمت ، ورجبت النخلة إذا دعمتها ، فين عليه السلام أنه رجب مضر لا رجب ربيعة ، وأنه الذى بين جمادى وشعبان .

(٢) غير مبرح : غير شديد .

(٣) عوان : أسيرات ، المفرد : عانية .

— ٣٤٤ — ابن إسحاق —

تدرون أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به . قال : فيقولون البلد الحرام ، قال : فيقول قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا .

قال : ثم يقول : قل : يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرون أى يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم . فيقولون يوم الحج الأكبر ، قال فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا .

قال ابن إسحاق : حدثني ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب الأشعري ، عن عمرو بن خارجة قال : بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ في حاجة ، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقه رسول الله ﷺ وإن لغامها ليقع على رأسى ، فسمعتة وهو يقول : أيها الناس إن الله قد أدى إلى كل ذى حق حقه وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه . أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

تعاليم الرسول عليه السلام للحاج : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي لجيح : أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجبل (١) الذى هو عليه ، وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قزح (٢) صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال هذا المنحر ، وكل منى منحر ، ففضى رسول الله ﷺ وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله

(١) وهو جبل عرفة وقال ﷺ : « الحج عرفة » لأن يوم عرفة خير يوم طلعت فيه الشمس ، وفيه ينهزم الشيطان وأكبر خسارة فادحة لإبليس اللعين لما يرى من مغفرة الله للمؤمنين الحاجين وغير الحاجين ، وذلك أن الحاج إذا قبل الله حجه وكان مبرورا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ورجع من حجه كيوم ولدته أمه هذا للحاج ، أما غير الحاج ومن لم يستطع فقد شرع له النبي ﷺ صوم يوم عرفة وذلك لعظم فضل هذا اليوم ، وتعويضاً من الله لعباده غير القادرين على الحج لتقارب مرتبتهم مرتبة الحاج فقال ﷺ عن صوم يوم عرفة : « يكفر - يغفر - سنة ماضية » ، وفى رواية « يكفر سنة ماضية وسنة باقية » وذلك بشرط عدم فعل الكبائر .

(٢) قزح : جبل بالمزدلفة .

— ابن إسحاق — ٣٤٥ —

عليهم من حجهم : من الموقف ، ورمى الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أحل لهم من حجهم ، وما حرم عليهم ، فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحج بعدها .

* * *

بَعَثُ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ إِلَى أَرْضِ فَلَسْطِينَ

قال ابن إسحاق : ثم قفل رسول الله ﷺ ، فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثا إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه وأمره أن يوطىء الخيل تخوم^(١) البلقاء . والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب^(٢) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون .

• أَسْمَاءُ الرُّسُلِ وَمَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ :

فبعث رسول الله ﷺ رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دحية بن خليفة الكلبي^(٣) إلى قيصر ملك الروم ، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس ، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعياد ابني الجلندي الأزدية ملكي عمان ، وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي إلى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر ابن ساوى العبدى ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم بالشام .

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري : أنه وجد كتاباً فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه . وفيه : أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثني رحمة وكافة .

(١) تخوم : أى حدود .

(٢) أوعب : اجتمع .

(٣) وهو الذى كان سيدنا جبريل عليه السلام ينزل فى صورته .

— ٣٤٦ — ابن إسحاق —

فأدوا عنى يرحمكم الله ولا تختلفوا علىَّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأما من قرب به فأحب وسلم وأما من بعد به فكره وأبى . فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله . فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذى وجه إليهم .
• **أُسْمَاءُ رُسُلِ عِيسَى :**

قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى ابن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع الذين كانوا بعدهم فى الأرض ، بطرس الحوارى . ومعه بولس ، وكان بولس من الأتباع ^(١) . ولم يكن من الحواريين إلى روميه واندرائس ومثى إلى الأرض التى يأكل أهلها الناس ، وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق ، وفيلبس إلى أرض قرطاجنة ، وهى إفريقية ، ويحسوس إلى أفسوس قرية الفتية أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أورشليم وهى إيلياء قرية بيت المقدس ، وابن ثلماء إلى الأعرابية وهى أرض الحجاز ، وسيمن إلى أرض البربر ، ويهوذا ولم يكن من الحواريين جعل مكان يودس .

* * *

ذِكْرُ جُمْلَةِ الْغَزَوَاتِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال ابن إسحاق : وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعا وعشرين غزوة منها ، غزوة ودان ، وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط ، من ناحية رَضَوَى ^(٢) ، ثم غزوة العشيرة ، من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى ، يطلب كرز ابن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التى قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بنى سليم ، حتى بلغ الكدر ، ثم غزوة السويق ، يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غطفان ، وهى غزوة ذى أمر ، ثم غزوة بخران ، معدن بالحجاز ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بنى النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قريظة ،

(١) الحواريين أكثر صحبة من الأتباع .

(٢) رَضَوَى : اسم جبل بالمدينة .

— ابن إسحاق — ٣٤٧ —

ثم غزوة بنى لحيان ، من هذيل ، ثم غزوة ذى قرد ، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية ، لا يريد قتالا ، فصدّه المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة القضاء ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك . قاتل منها فى تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

* * *

ذَكَرُ جُمْلَةِ السَّرَايَا وَالْبُعُوثِ

وكانت بعوثة صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانياً وثلاثين ، من بين بعث وسرية : غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذى المروة ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر ، من ناحية العيص ، وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة ، وغزوة سعد بن أبى وقاص الخرار ، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة ، وغزوة زيد بن حارثة القردة ، وغزوة محمد بن مسلمة : كعب بن الأشرف ، وغزوة مرثد بن أبى مرثد الغنوى الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة ، وغزوة أبى عبيدة بن الجراح ذا الغصّة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بنى عامر ، وغزو على بن أبى طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي ، كلب ليث ، الكديد ، فأصاب بنى الملوح .

* * *

غَزْوَةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ بْنِ الْمَلُوحِ

• شَأْنُ ابْنِ الْبَرَصَاءِ :

وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثنى عن مسلم بن عبد الله بن حبيب الجهنى ، عن جندب بن مكيث الجهنى ، قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي ، كلب بن عوف بن ليث ، فى سرية كنت فيها ، وأمره أن يشن الغارة على بنى الملوح ، وهم بالكديد ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك ، وهو ابن البرصاء الليثي ، فأخذناه ، فقال : إنى جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله ﷺ فقلنا له : إن تك مسلماً فلن يضيرك رباط ليلة ، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ،

— ٣٤٨ — ابن إسحاق —

فشددناه رباطاً ، ثم خلفنا عليه رجلاً من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عازك (١) فاحتز رأسه .

• بلاء ابن مكيث في هذه الغزوة :

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس ، فكنا في ناحية الوادي ، وبعثنى أصحابي ربيعة (٢) لهم ، فخرجت حتى أتت تلاً مشرقاً على الحاضر (٣) ، فأسندت فيه (٤) ، فعلوت على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إنني لمنبطح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه ، فقال لامرأته : إني لأرى على التل سواداً ما رأيته في أول يومى ، فانظري إلى أوعيتك هل تفقدين منها شيئاً ، لا تكون الكلاب جرت بعضها ، قال : فنظرت ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئاً ، فقال : فتناولني قوسى وسهمين ، فتاولته ، قال : فأرسل سهماً ، فوالله ما أخطأ جنبى ، فأنزعه ، فأضبعته ، وثبت مكانى قال ثم أرسل الآخر فوضعه في منكبى فأنزعه فأضبعه وثبت مكانى فقال لامرأته : لو كان ربيعة لقد خالطه سهمائى لا أبالك ، إذا أصبحت فابتغيهما ، فخذيهما ، لا يعضغهما على الكلاب قال : ثم دخل .

• نجاة المسلمين بالنعم :

قال : وأمهلناهم حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان في وجه السحر ، شننا عليهم الغارة ، قال فقتلنا ، واستقنا النعم ، وخرج صريخ القوم (٥) فجاءنا دهم (٦) لا قبل لنا به ، ومضيئنا بالنعم ، ومررنا بآبن البرصاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا ، قال : وأدركنا القوم حتى قربوا منا ، قال : فما بيننا وبينهم إلا وادى قديد ، فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر ، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ، ولا يقدر على أن يجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإنا لنسوق نعمهم ، ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا ، ونحن نحدوها سراعاً ، حتى فتناهم ، فلم يقدرُوا على طلبنا .

قال : فقدمنا بها على رسول الله ﷺ .

(١) عازك : غالبك . (٢) ربيعة : الطليعة التى تتجسس الأخبار .

(٣) الحاضر : الجماعة الذين يبعثونهم على الغزوات .

(٤) أسندت : ارتفعت . (٥) أى مستغيثهم .

(٦) الدهم : الجماعة الكثيرة .

